الدين بوصفه نقدًا

التفكير النقدي الإسلامي
من مكة إلى ساحة السوق

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى "سلسلة ترجمان" بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتستأنس "سلسلة ترجمان" وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوَّهة أو المتدنية المستوى.

وتسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

الدين بوصفه نقدًا

التفكير النقدي الإسلامي
من مكة إلى ساحة السوق

عرفان أحمد

ترجمة
ياسر ثابت

مراجعة
أنس غنايم

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

أحمد، عرفان

الدين بوصفه نقدًا: التفكير النقدي الإسلامي من مكة إلى ساحة السوق/ عرفان أحمد؛ ترجمة ياسر ثابت؛ مراجعة أنس غنايم.

407 صفحة: ايضاحيات؛ 24 سم. - (سلسلة ترجمان)

يشتمل على ببليوغرافية (صفحات 351-390) وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-699-6

1. الفلسفة الإسلامية. 2. الإيمان والعقل (إسلام). 3. الفلاسفة المسلمون. 4. المفكرون المسلمون - الهند. 5. الحركات الإسلامية - الهند. أ. ثابت، ياسر (مترجم). ب. غنايم، أنس (مراجع). ج. العنوان. د. السلسلة.

181.07

هذه ترجمة مأذون بها حصريًا من الناشر لكتاب

Religion as Critique
Islamic Critical Thinking from Mecca to the Marketplace
By Irfan Ahmad
Copyright © 2017 by the University of North Carolina Press

عن دار النشر
The University of North Carolina Press, Inc.
Published in the Arabic language by arrangement with the University of North Carolina Press, Chapel Hill, North Carolina, 27514 USA www.uncpress.org

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 00961 1991839
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى
بيروت، أيلول/ سبتمبر 2025

إهداء

إلى أبي العزيز، وعائشة، ومُبشّر

و

إلى ذكرى السكان الأصليين وثقافاتهم (في أستراليا وفي كل مكان)
ضحايا التنوير والحداثة الغربية!

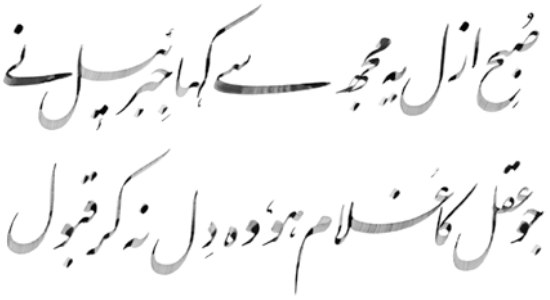

بيت شعر لإقبال باللغة الأوردية بخط يد السيد محمود حاتم آبادي.
مستخدمة بإذن.

كل قلب ذلَّ للعقل فقد
قال ربي أزلًا: لا تقبلن[1]

(1) مقطع من ترجمة عبد الوهاب عزام لقصيدة محمد إقبال "وصية السلطان تيبو"، في: محمد إقبال، **ديوان ضرب الكليم**، ترجمة عبد الوهاب عزام (القاهرة: دار هنداوي للنشر، 2014)، ص 64. (المراجع)

المحتويات

قائمة الجداول والصور 13

مقدمة 15

شكر وتقدير 21

تمهيد 29

القسم الأول
الصياغة

الفصل الأول: مقدمة 37

الغياب الشامل، أو الحكمة المتلقاة 38

الوجود الغائب، أو الجدال 47

أمارتيا سن والهندي المجادل 58

تصميم التدخل 67

الفصل الثاني: النقد: الغربي و/ أو الإسلامي 75

التنوير بوصفه انتماءً إثنيًا 82

الأنثروبولوجيا والنقد 108

إعادة تكوين العصر المحوري: النقد قبل عصر التنوير 115
الإسلام بوصفه نقدًا 120

الفصل الثالث: الأساليب: جينيالوجيا بديلة للنقد 131
النقد في اللغة الأوردية 133
عناصر جينيالوجيا بديلة 145
الدين والأدب: أسد الله غالب 152
النقد الإلهي 158

القسم الثاني
التوضيح بمثال

الفصل الرابع: الرسالة: مشروع نقدي 175
المودودي: إعادة قراءة 180
الإطار والمنهج: دوام الاجتهاد والعقل 187
المسلّمات 202
الأهداف 212

الفصل الخامس: الدولة: لا غنى عنها، أم مرغوبٌ فيها،
أم قابلة لإعادة المراجعة؟ 217
القطيعة والاستمرارية 221
حجج قوية 239
استعادة العالمية 247
استثناءات الدولة 261

الفصل السادس: التفرقة: المرأة وعدم المساواة 265
النظام الأبوي الجديد المزدوج للمودودي
الشبيه بالإله جانوس ذي الوجهين 274
النظام الأبوي الجديد في مكانه اللائق: انتقادات متعددة 284
سياق التحول 299
مصطلحات للاستخدام 303

الفصل السابع: الدنيوي: النقد بوصفه ممارسة ثقافية–اجتماعية 307
نقد في الحركة 311
الإنسان الخدماتي 326
النقد في الحياة اليومية: قوة الأمثال 333
مذهب المُلا: مذهب غير الأتقياء 335

خاتمة 343

المراجع 351

فهرس عام 391

قائمة الجداول والصور

الجدول

(3-1): أشكال التدخلات وأحكامها 163

الصور

(5-1): غلاف كتاب منظور نعماني، 1980
(استُخدم بتصريح من مولانا يحيى نعماني صاحب) 223

(5-2): غلاف مجلة **تجلي**، عدد تشرين الثاني/ نوفمبر 1966،
وعليها اسم رئيس التحرير 224

(5-3): العدد الخاص من مجلة **تجلي** "عدد نقدي"،
شباط/ فبراير - آذار/ مارس 1965 241

(خاتمة-1): تماثيل النمور في قصر الحمراء (2004) 349

مقدمة

في 29 آب/ أغسطس 2012، بعد يوم واحد من عرض القناة الرابعة في بريطانيا فيلمًا وثائقيًا مثيرًا للجدل بعنوان "الإسلام: القصة المسكوت عنها" (Islam: The Untold Story) للكاتب توم هولاند (Tom Holland) – الفيلم مقتبس من كتابه **في ظل السيف** (*In the Shadow of the Sword*) – نشر الكاتب الصحافيّ إد وست مدونة في صحيفة **التلغراف** بعنوان "هل يمكن أن يتقبل الدين الإسلامي مستويات أعلى من النقد؟"، ولخص وست[1] الغاية من هذا الفيلم البارع في مادته وتوقيته بأنه بمنزلة فحص للتاريخ المبكر لدين الإسلام... لشرح الأدلة المتاحة لدينا للتاريخ التقليدي للدين كما يراه الأتباع المخلصون"، واستنتج – مقتبسًا من هولاند – أن هذه الأدلة تقريبًا غير موجودة. وفي الجزء المتبقي من المدونة استطرد وست في سرد الأدلة دليلًا دليلًا، ليؤيد وجهة نظر هولاند في الفيلم المشار إليه، موضحًا أن هولاند ليس بعدو للدين الإسلامي، وذلك من أجل إضفاء الصدقية على الفيلم. وقبل نهاية المدونة، أشار إلى عالِمٍ إسلامي معروف باسم سيد حسين نصر يُدرِّس في جامعة جورج واشنطن، ظهر في الفيلم قائلًا: "إنه يشعر بأنه، ثقافيًّا، يتعرض لنقدٍ غربيٍّ الهيمنة". واختتم وست مدونته بنصيحة مساندة هي: "إذا كان العالم الإسلامي يرغب في التقدم إلى الأمام... فعليه أن يواجه هذه الأسئلة غير المريحة ويتقبل آلام الشك".

سعى وست، كما يتضح من عنوان مدونته، إلى إظهار أن الإسلام لا يعترف بالنقد، وأنه من غير المحتمل أن يتقبل النقد في المستقبل. ويرى أن أستاذًا مثل نصر

(1) Ed West, "Can Islam Ever Accept Higher Criticism?," *Telegraph* (29 August 2012).

يشعر بالتهديد من النقد الغربي. والأهم من ذلك أنّه عندما طرح السؤال: "هل يمكن الإسلام أن يتقبل مستويات أعلى من النقد؟"، لم يخطر في باله أن تعليقه على فيلم هولاند الذي نشره في صحيفة **التلغراف** لم يمت إلى النقد بصلة.

بخلاف الحكمة التقليدية عن الإسلام التي أوردها وست في مدونته المنشورة في صحيفة **التلغراف** – تلك الحكمة المقبولة على نطاق واسع بين معظم الأكاديميين والمفكرين غير الأكاديميين وعامة الناس – فإن كتاب **الدين بوصفه نقدًا: التفكير النقدي الإسلامي من مكة إلى ساحة السوق** (*Religion as Critique: Islamic Critical Thinking from Mecca to the Marketplace*) يوضح أن للنقد تقاليد مزدهرة متعددة، وأسسًا وأوضاعًا وأشكالًا مختلفة. يتناول الكتاب معتنقي الإسلام؛ إذ هم عناصر للنقد نشطون، وليسوا أتباعًا فحسب. ذلك النقد الذي تعبّر عنه الكلمة القياسية في اللغة الأوردية "تنقيد" و"نقد". وبناءً على العمل الميداني الإثنوغرافي في الهند، يقدم هذا الكتاب النقد والتقاليد موضوعًا للبحث الأنثروبولوجي. ونظرًا إلى أن التقاليد لا تختزل في أرض الوطن أو بالسلطة السياسية، يناقش الكتاب هذين العاملين. وبعيدًا عن مفاهيم التنوير النمطية التي تنص على أن الأديان، لا سيما غير البروتستانتية، يمكن أن تكون هي وحدها موضوعًا للنقد، فإن هذا الكتاب الذي بين يديك أو في شاشتك يُنظّر للدين بوصفه عاملًا مهمًا للنقد؛ فهو يرى موسى وبوذا والمسيح ومحمدًا وعبد الغفار خان وأبا الأعلى المودودي وكثيرين غيرهم، ناقدين بكل ما في الكلمة من معنى. وفي سياق هذا البحث، يقدم كتاب **الدين بوصفه نقدًا** نسخة مختلفة للنقد باللغة الأوردية، متجاوزًا – كالعادة – اليونان القديمة ووريثها المفترض، الغرب الحديث، بوصفيهما الموضع الأساسي المعتاد للنقد. وباستخدام منهج أنثروبولوجيا الفلسفة، فإنه يفسر تنوير الغرب بأنه علامة على هويته الإثنية، مشكّكًا في شموليته. وبالتعامل مع مؤلفات أنثروبولوجيا عصر التنوير، فإنه يضع تقاليد نقد التنوير الغربي في مواجهة مع التقاليد الإسلامية، بهدف تحليل الاختلافات وكذلك التشابهات بين الطرفين. وإضافة إلى الاعتذارات السطحية، على شاكلة: "مفهوم النقد موجود لدى المسلمين أيضًا، كالغرب تمامًا"، يجادل الكتاب حول خصوصية الإسلام والحاجة إلى حوار ديمقراطي حقيقي مع التقاليد المختلفة. وفي إطار فحصه مقاييس النقد ومعاييره، مستخدمًا مصادر باللغة الإنكليزية والهندية والفارسية والأوردية، يوسع نطاق النقد المقتصر عادة على النصوص المعيارية والأفراد الأفذاذ، مثل الفلاسفة

والأكاديميين والنقاد والمفكرين، وصولًا إلى الحياة اليومية المتشابكة مع مصائر الأشخاص العاديين، كالباعة المتجولين والمتسولين والفلاحين الأميين. بإيجاز، يحاول هذا الكتاب وضع النقد على الساحة الأكاديمية، من حيث هو ممارسة اجتماعية ثقافية عادية تتّسم بأهمية استثنائيّة. وبدلًا من النقد الحالي بوصفه مجرد تمرين ذهني منعزل، يطمح الكتاب إلى إظهار ماهية هذا النقد وتجريده. إن التفكير في الأوصاف المتاحة للنقد – من حيث إنه كشف وإظهار وفضح وتفكيك[2] – يؤكد أن النقد هو عمل متشابه ومتزامن من التجميع والتفكيك، مع معالم تشير إلى عالم مقبل. والنقد، بطبيعته، لا يكون "محايدًا" أو "موضوعيًا" بالمعنى الذي تفهم به وتُستَعمل هاتان الكلمتان عادة؛ للمطالبة بـ"الحياد" و"التجرد". ومن نواحٍ كثيرة، يُفترض أن يكون للنقد بالتأكيد درجات من الانحياز وكذلك التجرد.

كما سيتضح للقراء، فإن فكرة النقد التي يوظفها الكتاب هي أيضًا فكرة تحوُّليَّة. ففي عام 2004، ذهب برونو لاتور إلى القول إن النقد فقد زخمه، وذلك لأسباب عدة من بينها نظريات قدمتها شخصيات مثل جان بودريار (Jean Baudrillard)، الذي قال إن "البرجين [الأميركيين] دمرا نفسيهما تحت وطأة ثقلهما [الذاتي]... متأكلين من العدمية المطلقة الكامنة في الرأسمالية نفسها". وبوصف بودريار ممثلًا لأنقاض النقد، دعا لاتور إلى تجديد العقل الناقد باتخاذ "**موقف واقعي حازم**"؛ فمن وجهة نظر لاتور افتقر بودريار وغيره من النقاد الفرنسيين إلى الاتجاه الواقعي. وفي سياق التأمل النقدي، صرّح قائلًا: "أشعر بالخزي من القول إن المؤلف فرنسي"[3]. لكن طرح لاتور يثير الحيرة؛ إذ إنه لم يوضح كيف كان نقد بودريار غير واقعي أو معاديًا للواقعية. وفي الواقع، لم يتعامل مع نقد بودريار بما يتجاوز الذكر المجرد لتلك السطور المقتبسة، وما تُرِك لقراء النقد إنما هو تعبير لاتور عن شعوره بالخزي، الذي أمَّمه [فَرْنَسَه] ولم يعقلنه. وبين قوسين تجب الإشارة إلى أنه في السياقات التي تتضمن التدخلات والقضايا التي تُروَّج على نطاق واسع بوصفها إنسانية

(2) Johannes Fabian, "Dilemmas of Critical Anthropology," in: Lorraine Nencel & Peter Pels (eds.), *Constructing Knowledge: Authority and Critique in Social Science* (London: Sage, 1991).

(3) Bruno Latour, "Why Has Critique Run Out of Steam? From Matters of Fact to Matters of Concern," *Critical Inquiry*, vol. 30, no. 2 (2004), pp. 228, 231,

التشديد في الأصل.

وعالمية وما إلى ذلك، غالبًا ما يعمل ما هو قومي وما هو عقلي على نحو تبادلي، وأحيانًا على نحو مبتذَل. وبالعودة إلى أطروحة لاتور بأن النقد فقد زخمه، وعدم اتفاقي معها، يؤكد كتاب **الدين بوصفه نقدًا**، بدلًا من ذلك، أن هذا النوع من النقد الذي يهدف إلى إيضاحه قد شرع في البدء. وفي ما يتعلق بموضوع هذا الكتاب وأفقه النظري، فإن كثيرًا من أطروحات النقد قد تعثرت، وذلك لكونها أكثر تقليدًا وليست عاكسة للحقيقة بما يكفي، ولأنها إنتاجية أيضًا أكثر من كونها تهدف إلى التغيير. أما بالنسبة إلى جاك رانسيير[4]، فإن النقد يدرك نفسه عندما يتعلق الأمر بعالم في الأفق[5].

يهدف كتاب **الدين بوصفه نقدًا** إلى الإسهام، من جملة أمور أخرى، في الحقل الفرعي لأنثروبولوجيا/ سوسيولوجيا الفلسفة والعقل. وإن وجد بعض القراء أنه أقل "إثنوغرافيًّا" – لا سيما في القسم الأول – فذلك بسبب إدراكي المبكر أن "وصفًا" ذا معنى "للبيانات" أو "المادة" يجب أن يصف في الوقت نفسه فكر المعرفة ومصفوفتها وراء وصف العالم الأكبر الذي نعيش فيه، مهاجرين ولاجئين ومواطنين ومقيمين دائمين و"مهاجرين غير شرعيين" وغربيين وغير غربيين وعالميين ومحليين وهنودًا وإرهابيين وجمعيات نسوية وديمقراطيين وقوميين، وناسًا يقولون إنهم متدينون أو علمانيون أو أبويون أو قبليون أو عرقيّون وسكان بلدان متقدمة أو نامية، وغيرهم، وكذلك مجالات معينة أثارها علماء الأنثروبولوجيا وغيرهم من الباحثين. إن الوصف حين لا يكون جامعًا مانعًا، هو في ذاته في حاجة إلى توصيف نقدي.

إن موضوع النقد الذي يتناوله هذا الكتاب هو شرح الإسلام لأبي الأعلى المودودي (1903–1979)، مؤسس الجماعة الإسلامية في الهند المستعمرة في عام 1941، والنقد المتنوع الذي وجهه إلى هذا الشرح أعضاء سابقون (وفي حالات قليلة من الأعضاء الحاليين أيضًا) والمتعاطفون مع الجماعة وجناحها الطلابي، أي المنظمة الإسلامية الطلابية، وفي بعض الحالات، أشير أيضًا إلى النقد الذي أبداه عدد من غير المرتبطين رسميًا "بالجماعة". مع ذلك، فإن الجزء الأكبر من النقاش

(4) Jacques Rancière, *The Emancipated Spectator*, Gregory Elliott (trans.) (London: Verso, 2009).

(5) يُنظر أيضًا:
Brian O'Keeffe, "Jacques Rancière: The Misadventures of Criticism and the Adventures of Hope," in: Jeffrey Di Leo (ed.), *Criticism after Critique* (New York: Palgrave Macmillan, 2014).

حول النقد أمر جوهري، لا سيما ممَّن كانوا على صلة بالجماعة. وفي الفصل الأخير، أبتعد عن الجماعة، للتركيز على النقد بوصفه ممارسةً اجتماعية-ثقافية يومية، وفيه أتناول إحدى حركات السلام البارزة في أوائل القرن العشرين، وهي حركة "خداي خدمتگار" ("خدام الرب")، التي أسسها خان عبد الغفار خان (ت. 1988) حركةً نقديةً. ويتناول هذا الفصل أيضًا النقد اليومي خارج نطاق الحركات الاجتماعية، مستعينًا بدراساتي الإثنوغرافية، ودراسات آخرين، لمناقشة أهمية الأمثال في الحياة اليومية، ومستخدمًا هذه المواجهات الإثنوغرافية وحركة "خدام الرب" لفهم مسألة النقد عمومًا.

لا يدَّعي كتاب **الدين بوصفه نقدًا** أنه يقدم أصول النقد في الإسلام، لكنه يقدم، استنادًا إلى التعامل المستمر مع تراث المسلمين وثقافاتهم وسياساتهم وتاريخهم في شبه القارة الهندية – والتي هُمِّشت خطأً أحيانًا كثيرة في دراسات الدين عمومًا ودراسات الإسلام خصوصًا – طريقًا واحدًا لتأصيل كهذا. مع ذلك، يدّعي الكتاب بقوة أن طريقته في التأصيل جديدة ومبتكرة، وبحسب علمي، لم تُطرَح من قبل، وبالتأكيد ليس في الأنثروبولوجيا/ علم الاجتماع أو الدين/ الدراسات الإسلامية بهذا الهدف النظري والإطار المنهجي. وبخلاف الروايات المهيمنة المتاحة للنقد في التراث الغربي ودراسات الاستغراب، فإن الكتاب يتخذ اللهَ مصدرًا للنقد، ويتخذ الأنبياء الذين أرسلهم عبر التاريخ نقادًا بمعنى الكلمة. فقد كانت مهمة الأنبياء الذين أرسلهم الله هي الإصلاح بالنقد. وباختتام النبوة، أُلقيَت مهمة النقد والإصلاح على عاتق العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء، وفي هذا الإطار (الموضح في الفصل الثالث)، يتحدى الكتاب الازدواجية والانفصال – وهو ما يبدو سَلِسًا لبعضهم، شائكًا أمام الآخرين – بين العلماني والديني، بما يعني أن أي مشروع نقدي هادف يجب أن يندرج في هذا الإطار. وهذا الإطار الذي اقترحته ملائم لدراسة التكوينات الاجتماعية في الماضي، وكذلك للدول القومية المعاصرة التابعة للنظام العالمي (الفوضى العالمية) بقيادة الأنظمة الغربية الإمبريالية التي يحكمها الأثرياء. إن منظومة الإصلاح والنقد والعلماء والتراث التي ترتبط به وتشكله تتأثر، حتمًا، بالسياسات المنتشرة والمشبعة بالدماء والحروب داخل الدول القومية وبين بعضها وبعض. مع ذلك، لا يمكن اختزالها أو إدراجها ضمن الحماسة الدمويّة التي تُعَرْقِن النزعة القومية التي يُعدّ تاريخها، على الرغم من ادعاءات القوميين بأنها قديمة،

وأحيانًا أبدية، حديثًا كأنما وُلِد أمس. ومن دون وضع هذه المنظومة المشار إليها كليًّا في الاعتبار، لا يمكننا أن نفهم فهمًا كافيًا فكرة الحد الأدنى المتفق عليها للنقد في التقاليد الأوردية الإسلامية في جنوب آسيا، لتقويم الجانشنا/ الباراخنا (jānchnā/ parakẖnā) أو لتمييز الأصلي من المزيف، والجيد من الرديء.

يجزم الرأي السائد، بلا شك، بأن جينيالوجيا النقد قد اتّضحت معالمها الأولى مع أعمال إيمانويل كانط[6]. في المقابل، يذهب كتاب **الدين بوصفه نقدًا إلى أن النقد** بدأ قبل ذلك بكثير. وباستهلالٍ لإيضاح هذه الفكرة وتمكين القراء من البدء في إعادة التفكير في مسألة النقد بأكملها من جديد، يستعرض التمهيد أحد أعمال شاه ولي الله (ت. 1763) مثالًا نموذجيًّا للنقد الآنف الذكر، والمختلف عن نقد كانط.

(6) على سبيل المثال، ينظر:
David Shumway, "Criticism and Critique: A Genealogy," in: Leo (ed.).